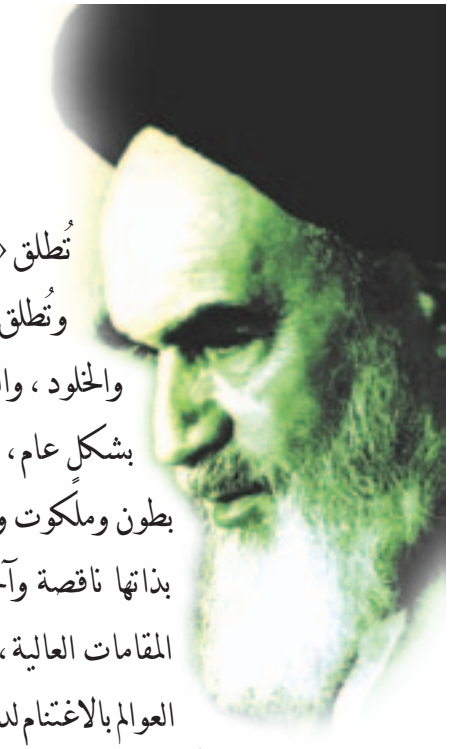

تَعَلُّقُ القلب بالدّنيا
هو الدّنيا المذمومة

تُطلق «الدّنيا» تارةً على نشأة الوجود النازِلة التي هي دار التَّصَرُّم، والتغيير، والمجاز. وتُطلق الآخرة على الرجوع من هذه النشأة إلى الملكوت وباطنِه، الذي هو دار الثبات، والخلود، والقرار.

بشكلٍ عام، لكلِّ موجود مقامُ ظُهور ومُلك وشُهود، وذلك هو مرتبتُه الدنيويّة النازلة، ومقامُ بطون وملكوت وغَيْب، وهو نشأته الأُخرويّة الصاعدة. وهذه النشأة النازلة الدنيويّة، وإنْ كانت بذاتها ناقصة وآخِرَ مراتب الوجود، لكن حيث إنّها مَهْد تربية النفوس القدسيّة، ودار تحصيل المقامات العالية، ومزرعة الآخرة، فهي من أحسن المشاهد الوجوديّة، وأعزّ النشآت، وأجدر العوالم بالاغتنام لدى الأولياء وأهل سلوك الآخرة.

ولو لم تكن هذه المواد المُلكيّة والتغييرات والحركات الجوهريّة الطبيعيّة والإراديّة، ولو لم يسلِّط الله تعالى التبدُّلات والتصرّمات على هذه النشأة، لما وصل أحدٌ من النفوس الناقصة إلى حدّ كماله الموعود، ودار قراره وثباته، ولَدَخَل النقص الكلّيّ في المُلك والملكوت. وما هو في لسان القرآن والأحاديث من ذمّ لهذا العالم، لا يرجع إليه في الحقيقة بحسب النوع والأكثريّة، بل بحسب التوجّه نحوها وانشداد القلب والمحبّة. يتّضح إذاً أنّ للإنسان دنياوين: إحداهما ممدوحة والأخرى مذمومة.

الدنيا الممدوحة، هي الوجود – وجود الشخص – في هذه النشأة التي هي دار التربية، ودار التحصيل، ومحلّ تجارة المقامات، واكتساب الكمالات، وتهيئة الحياة السعيدة الأبديّة، التي لا سبيل إليها بدون المجيء من هنا، كما يقول حضرة مولى الموحِّدين وأمير المؤمنين صلوات الله عليه في إحدى خُطبِه، بعدما سمع شخصاً يذمُّ الدّنيا:

«إنّ الدّنيا دارُ صدقٍ لِمَن صَدقها، ودارُ عافية لِمَن فهم عنها، ودارُ غنىً لِمَن تزوَّد منها، ودار موعظة لِمَن اتَّعظ بها، مسجدُ أحبّاء الله، ومُصلّى ملائكة الله، ومهبط وَحي الله، ومتجر أولياء الله، إكتَسَبوا فيها الرحمة، وربِحوا فيها الجنّة».

وقد فسّر قوله تعالى ﴿. .ولَنِعم دار المتَّقين﴾ النحل: ٣٠ بالدّنيا، بحسب رواية العياشيّ، عن حضرة الباقر عليه السلام. .

إذاً، عالَم المُلك، الذي هو مظهر الجمال والجلال، وحضرةُ الشهادة المُطلَقة بمعنىً ما، ليس مذموماً. المذموم هو دنيا الإنسان نفسه، بمعنى وجهة القلب إلى الطبيعة والتعلُّق بها وحبّها، الذي هو منشأ جميع المفاسد والأخطاء القلبيّة والقالبيّة، كما رُوي في الكافي الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «رأس كلِّ خطيئة حُبُّ الدنيا».

وعن أبي جعفر عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان في غَنَمٍ ليس لها راعٍ، هذا في أوّلها وهذا في آخرها، بأسرع فيها من حُبّ المال والشرف في دين المؤمن».